

نقط الخلاف مع البروتستانت في الصوم

واضح أن الصوم لم يكن رمزاً، إنما هو وصية قائمة في العهد القديم، كما هي قائمة في العهد الجديد، والبروتستانت لا ينكرونه بصفة مطلقة، إنما يلغونه تقريباً من الناحية العملية.

وهنا سوف لا أتكلم عن الصوم بصفة عامة، وأهميته وفائدته، وروحانياته فهذا كله يمكن قراءته في كتابنا (روحانية الصوم).

إنما أريد أن أركز على نقط الخلاف بيننا وبين البروتستانت في موضوع الصوم.

A- نقط الخلاف مع البروتستانت:

- 1- يقول البروتستانت أن الصوم ينبغي أن يكون في الخفاء، بين الإنسان والله، عملاً بوصية الرب في العظة على الجبل (متى 6: 17، 18).
- 2- ليست للبروتستانت أصوام ثابتة يصومها جميع المؤمنين، في مواعيد محددة لها، وفي مناسبات خاصة بها. إنما الصوم عندهم -في غالبيتهم- عمل فردي، يصوم الفرد منهم متى شاء، وكيف شاء ولا سلطان للكنيسة عليه في هذا، ولا تدخل لها في صومه.
- 3- يعتمدون على فهم خاطئ للآية التي تقول (لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التي هي ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح (كو 2: 16، 17)).
- 4- لا يوافقون في الصوم على الطعام النباتي، والامتناع عن الأطعمة الحيوانية ويتهموننا بأننا في ذلك ينطبق علينا على الأقل الجزء الأخير من الآية التي تقول (في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان.. مانعين عن الزواج، وأمرين أن يمتنع عن أطعمة خلقها الله لتتناول بالشكر) (1 تي 4: 3-1).

B- اعتراض الصوم في الخفاء

الصوم في الخفاء خاص بالعبادة الفردية وليس بالعبادة الجماعية. لأنه يوجد هذان النوعان من العبادة..

أ- ففي الصلاة مثلاً: توجد الصلاة الفردية، التي تصلّيها في مخدعك، ولأبيك الذي يرى في الخفاء.

وهذا لا يمنع من وجود الصلاة الجماعية التي تصلّيها معاً كل جماعة المؤمنين بروح واحدة ونفس واحدة وصوت واحد.

وأمثلتها كثيرة في العهد الجديد. منها صلاة المؤمنين بعد إطلاق الرسل بطرس ويوحنا من السجن (فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة، صوتاً إلى الله وقالوا) (أع 4: 24).

طبعاً مثل هذه الصلاة لا تنطبق عليها وصية الرب الخاصة بالصلاة في الخفاء (مت 6: 6)

ب- كذلك في الصدقة: يوجد عطاء في الخفاء كعمل فردي، لا تجعل فيه شمالك تعرف ما تفعله يمينك (متى 6: 3).

ولكن هذا لا يمنع العطاء العام الذي يجمع من الكل، كما جمع داود النبي من أجل بناء الهيكل وذكر ما قدمه هو بالتفصيل، وما قدمه رؤساء الآباء، ورؤساء الأسباط، ورؤساء الألوف والمئات، ورؤساء أشغال الملك) (1 أي 29: 3-9)

ومثل هذا العطاء ما كان الناس يضعونه في الخزانة، كالتّي وضعت فلسطين في الصندوق (لو 21: 1، 2).

ج- كذلك في الصوم: يوجد الصوم الفردي في الخفاء. وهذا لا يمنع الصوم العام، لكي يشترك كل المؤمنين معًا في صومهم.

فهل الصوم الجماعي تعليم كتابي أم لا؟

C- اعتراض الصوم الجماعي

هناك أمثلة كثيرة في الكتاب عن الصوم الجماعي، ومنها:

أ- صوم الشعب أيام أستير

الشعب كله صام معًا، في وقت واحد، من أجل غرض واحد، وبصلاة وطلبة واحدة إلى الله. وقبل الرب صومهم، واستجاب لهم (أس 4).

ب- صوم أهل نينوى:

الكل صاموا معًا، وليس في الخفاء. وقبل الرب صومهم فغفر لهم خطاياهم (يون 3).

ج- صوم الشعب أيام عزرا، ونحميا:

يقول نحميا (وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر، اجتمع بنو إسرائيل بالصوم، وعليهم مسح وتراب) (نح 9: 1). ويقول عزرا (وناديت بصوم على نهر أهوا، لكي نتذلل أمام إلهنا، لنطلب منه طريقًا مستقيمة، لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا) (عز 8: 21).

د- الصوم أيام يونس:

ورد فيه (الآن – يقول الرب – ارجعوا إلى بكل قلوبكم – وبالصوم والبكاء والنوح).. (قدسوا صوما نادوا باعتكاف. اجمعوا الشعب، قدسوا الجماعة ليخرج العريس من مخدعه، والعروس من حجلتها..) (يونس 2: 12-17)

ه – وفي العهد الجديد صوم الرسل:

لما سئل السيد المسيح لماذا لا يصوم تلاميذه؟ أجاب بأنه (حين يرفع عنهم العريس، حينئذ يصومون) (متى 9: 15). وقد صاموا فعلاً، معًا وليس في الخفاء.

وقبل الله صومهم. ومن أمثلة صوم الآباء الرسل، قول الكتاب (وفيما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه (فصاموا حينئذ وصلوا، ووضعوا عليهما الأيدي) (أع 13: 2، 3).

و- والقديس بولس الرسول صام صومًا كثيرًا وكل أهل السفينة (أع 27: 21).

الصوم الجماعي مقبول إذن، وهو تعليم كتابي، ويدل على وحدانية الروح في العبادة وفي التقرب إلى الله، وبخاصة إذا كان غرض الصوم أمرًا يهم الجماعة كلها، أو إذا كانت تشترك في الصوم، كما في الصلاة، بروح واحد.

وليس في الصوم الجماعي رياء:

لأنه ليس أحد مميزًا على غيره فيه. أما درجة الصوم وأعماقه بالنسبة إلى كل فرد فهذه تكون في الخفاء.

وفي العهد الجديد لا يوجد نص واحد يمنع الصوم الجماعي.

D- اعتراض على مواعيد الصوم

إن الصوم في مواعيد محددة هو أيضًا تعليم كتابي، كما حدد الرب -في سفر زكريا النبي- صوم الشهر الرابع، وصوم الشهر الخامس، وصوم السابع، وصوم العاشر (زك 8: 19).

ولعل الحكمة في تحديد مواعيد الصوم هو تنظيم العبادة الجماعية.

وفي المسيحية أخذت مناسبات الصوم طابعًا مسيحيًا، لكل منه حكمته وتأثيره وهدفه الروحي.

E- لا يحكم عليكم أحد في صوم

لم يقل الرسول (لا يحكم أحد عليكم في صوم) إنما قال (لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب.. وكان المقصود بذلك المُحَرَّمات في الأطعمة بالنسبة إلى اليهود، كأصناف الطعام التي كانوا ينجسونها.

وهذا يذكرنا بالرؤيا التي رآها القديس بطرس الرسول في قصة هداية كرنيلنوس، لما رأى ملاءة عظيمة وعليها كل أنواع الأطعمة، وسمع صوتًا يقول له اذبح وكُل.

فقال بطرس (لا يا رب، لأنني لم أكل قط شيئًا دنسًا، أو نجسًا، فصار إليه الصوت ما طهره الله لا تدنسه أنت) (أع 10: 11-15). عن هذه الأطعمة المعتبرة نجسة ودنسة، قال بولس الرسول (لا يحكم عليكم أحد في أكل وشرب). وذلك لأنه في مبدأ الإيمان بالمسيحية، كان أول من دخل المسيحية هم اليهود، فأرادوا تهويد المسيحية أي أن تدخل في المسيحية كل العادات اليهودية مثل النجاسات والتطهير.

و كذلك ما يخص اليهودية من حفظ السبت والاحتفال بالهلال وأوانل الشهور، والأعياد اليهودية كما هي مثل: (الفصح، والفطير، والأبواق، والمظال، ويوم الكفارة) فأراد بولس مقاومة تهويد المسيحية. ولذلك قال (لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة) (كو 2: 16، 17).

إذن لم تكن مناسبة حديث عن الصوم، إنما عن العادات اليهودية التي يريدون إدخالها إلى المسيحية.

F- اعتراض الصوم النباتي

أ- نحب أن نقول أولاً أن الصوم في كنيستنا ليس هو مجرد طعام نباتي، إنما هو انقطاع عن الطعام فترة معينة يعقبها أكل نباتي (خال من الدسم النباتي).

ب- الطعام النباتي كان الطعام الذي قدمه الرب، لآدم وحواء في الفردوس (تك 1: 29) وبعد الخطية أيضًا (تك 3: 18). وكانت الحيوانات كلها تأكل طعامًا نباتيًا هو العشب (تك 1: 30).

ج- لم يسمح الكتاب بأكل اللحم إلا بعد فلك نوح (تك 9: 3) وكان العالم قد هبط مستواه جدًا للدرجة التي ألجأت الرب إلى الطوفان.

د- لما قاد الرب شعبه في برية سيناء، قدم لهم طعامًا نباتيًا هو المن (عدد 11: 7، 8) ولم يسمح بأكل اللحم (السلوى) إلا بعد تدميرهم وبكائهم وهبوط مستواهم. ومع عطية اللحم ضربهم ضربة شديدة. فمات منهم كثيرون (عدد 11: 33) وسمى ذلك المكان قبروت هتاوه (أي قبور الشهوة)، لأنهم هناك اشتهوا أكل اللحم.

ه - ونلاحظ أن الطعام النباتي هو الطعام الذي أكله دانيال النبي والثلاثة فتية، وبارك الرب طعامهم، وصارت صحتهم أفضل من كل غلمان الملك (دا 1: 12-15)

ولعل الحكمة في استخدام الطعام النباتي هي أمران: استخدام الأطعمة الخفيفة البعيدة عن الشهوة والتي لا تثير الجسد، كما أن الطعام النباتي كان النظام الأصلي الذي وضعه الله للإنسان.

G - "اعتراض" مانعين عن أطعمة

الكتاب في النص الذي اعتمد عليه البروتستانت، لا يتحدث عن نظام في الكنيسة، إنما يقول (يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين؛ مانعين عن الزواج وأمريين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله للتناول بالشكر (1 تي 4: 1-3).

ولعل المقصود بهذا المانع والمونتانيين الذين حرّموا الزواج، وحرّموا اللحم، وحرّموا الخمر، وقد حرّمهم الكنيسة وشجبت كل ما نشره من بدع.

والكنيسة لا تحرم اللحوم وما ينتمي إليها، إنما تمتنع عنها في الصوم نسكًا وليس لأنها نجسة. بدليل أن الصائمين يأكلون هذه الأطعمة حينما يفطرون.

إن دانيال أكل القطاني فقط وامتنع عن باقي الأطعمة، ولم يقع تحت حكم هذه الآيات. وكذلك يوحنا المعمدان في كل ما امتنع عنه من أطعمة وكذلك النساك في كل زمان ومكان.

إن النسك - ولوقت محدد- شيء، وتحريم الأطعمة شيء آخر..

H-تنظيم الصوم وسلطة الكنيسة

بقي أن نقول نقطة أخيرة هامة، وهي:

تنظيم الصوم وسلطة الكنيسة

إن الكنيسة نظمت الصوم، ووضعت له أسسه الروحية، ومواعيده الثابتة المبنية على قواعد روحية ليس الآن مجالها. وهكذا احتفظت بالصوم، وبقي كعمل روحي لا يستغني عنه احد.

والكنيسة من حقها أن تنظم، بل من واجبها أن تنظم، من أجل صالح جماعة المؤمنين لكي يعبدوا الله جميعًا بروح واحدة. وهي تعتمد في ذلك على قول الرب لقادتها (ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطًا في السماء. وما حللتموه على الأرض يكون محلولًا في السماء) (مت 18: 18).

وهكذا يستند التنظيم الكنسي على نص كتابي.

أما الأخوة البروتستانت، فمن أجل حرية الفرد، أضاعوا فائدة الجماعة كلها واختفي الصوم تقريبًا عندهم. وهو واسطة روحية لا ينافس أحد في مدي نفعها.

والنظام عمومًا نافع للفرد، ولا يعتبر مانعًا لحيته، بل هو منظم لاستخدامها.